

جدلية الترابط بين الأهمية الشيعية والجيوبوليتيك الشيعي

كتبه فراس إلياس | 11 سبتمبر, 2020



شكلت الأهمية الشيعية إحدى أبرز تجليات الثورة في إيران، وذلك عبر تأميم كل الحركات والمجتمعات الشيعية في العالم، من خلال تذويبها سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا وأيديولوجيًا ضمن الوعاء الإيراني الكبير، وتحويل هذه الحركات والمجتمعات إلى مصدات إستراتيجية لنظام ولاية الفقيه، وذلك عبر التأكيد أن إيران المسؤولة عن جميع الشيعة في العالم.

فالأهمية الشيعية – حسب فكر الثورة الإيرانية – جاءت لتجاوز الحدود السياسية التي تفصلها عن المجتمعات الشيعية في الدول الأخرى، من أجل الارتباط والتعاون السياسي، فهي سعي إيراني لربط شيعية العالم عبر الحدود الوطنية لتعزيز المصالح القومية الإيرانية، في تشكيل الإمبراطورية الشيعية العالمية التي تعتبر الجمهورية الإسلامية نواتها الحقيقية.

إذ برزت التعبيرات الأساسية لمفهوم الأهمية الشيعية في العديد من مواد الدستور الإيراني عام 1979، التي أكدت مبادئ سياسية عديدة منها العالمية ونصرة المستضعفين ومحاربة الاستكبار، كما أنها أكدت الدور الأممي للحرس الثوري في دعم الحركات والجماعات الإسلامية “السنية والشيعية” على حد سواء، فمنذ اللحظات الأولى لانتصار الثورة عام 1979، ارتكز مفهوم الأهمية الشيعية بصورة أساسية على تقسيمات الخميني للعالم، فقد قسم العالم إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي: عالم إسلامي تقوده إيران وعالم اشتراكي يقوده الاتحاد السوفيتي وعالم رأسمالي تقوده الولايات المتحدة.

رؤية إيران للأممىة الشىعىة

هءف إيران فى تأكىء الأممىة الشىعىة عبر نظرىة ولاية الفقىه، لىست مجرد شعارات ثورىة، بل مواقف وتصرىحات صدرت عن المرشد الأعلى أو حقى قىادات فى الحرس الثورى، ومن ذلك ما قاله اللواء ىحى رحىم صفوى المستشار العسكرى للمرشد الأعلى الإىرانى على خامنئى: "العالم ىتجه نحو إقامة حكمة إسلامىة عالمىة بإءارة إيران"، ووفقًا لوكالة فارس الإىرانىة، فقد اعتبر صفوى أن شبان العالم الإسلامى فى الىمن والعراق، ىحتذون بنموءج شبان إيران، فى إشارة إلى تأسيس مجامىع وأحزاب تابعة لنظام ولاية الفقىه.

فقد نجحت إيران عبر السنوات التى أعقبت الاحتلال الأمريكى للعراق، فى تهىئة الأرضىة المناسبة لتقوىة نفوذها الءىنى فى العالم الإسلامى، ولم ىكن الجانب الءىنى ببعىء عن مجالات الهىمنة الأخرى، سواء كان ذلك على مستوى رجال الءىن أم الأحزاب الإسلامىة أم حقى الملىشىات المسلحة، بطرىقة تشبه إستراىىجىة الاتحاد السوفىتى تجاه الحركات الشىوعىة فى العالم الثالث فى أثناء الحرب الباردة، وهو ما اصطلح على تسمىته بالطرىق نحو بناء الأممىة الشىوعىة.

هءف إيران فى تأكىء الأممىة الشىعىة عبر نظرىة ولاية الفقىه، لىست مجرد شعارات ثورىة، بل مواقف وتصرىحات صدرت عن المرشد الأعلى

عززت إيران منذ عام 1979، الخرىطة الشىعىة مقابل الخرىطة الإىرانىة، لأنها تفضل الاعتماد على المجتمعات الشىعىة غير الإىرانىة (الهزارة فى أفغانىستان والشىعة فى جنوب لبنان والعراق والعلوىىن فى سورىا والحوشىىن فى الىمن) أكثر منها على جماعات إىرانىة عرقىًا كالأكراء والطاجىك، هذه الجماعات الشىعىة بوصفها غاية ووسىلة للسىاسة الخارجىة الإىرانىة، هى فى الوقت نفسه تعبر أساسى عن الحركة الثورىة التى تسعى إيران لتعمىمها من أجل تحقىق الجىوبولىتىك الشىعىى، وبعد أن نجحت ركىزتها الأولى فى لبنان عبر "حزب الله"، وعلى غرار الاتحاد السوفىتى الذى كان فى إمكانه الاعتماد على دعم الأحزاب الشىوعىة فى مختلف مناطق العالم، فإنها أوجدت لها جماعات شىعىة تدعمها تحت مسمىات عدة، ومن ثم تكاثرت الأحزاب الإلهىة والأنصار وأنواع الحشود وغيرها، لكن تعقىءات نقطة الارتكاز الإىءىولوجىة هذه كبرىة.

فمع أن المذهب الشىعىى لا ىركن إلى مفهوم الأمة القومىة التى تحمل خطر تقسىم الإسلام والتحذىر المستمر من الواقع الوطنى القومى للمذهب الشىعىى، لكن المفارقة ونقطة الضعف هنا أن إيران نفسها دمجت بن شىعىتىها وقومىتىها وجعلتهما أمرًا واحدًا، فعندما تدعو إلى تبعىة الشىعة للجامعة الشىعىة ومركزها الءولة - الأمة إىران، فإنها تطرح علىهم التحدى الصعب بالتخلى عن انتمائهم الوطنى، فكىف ىمكنهم ذلك على خلفىة الصراع التارىخى الذى أججته ممارساتها نفسها منذ بءاءة الثورة السورىة! وأضافت إلىه إعلانها استعاءة الإمبراطورىة الفارسىة واحتلال 4 عواصم

إيران والمركزية الشيعية

في هذا الإطار ترتبط الأممية الشيعية بفكرة رئيسة وهي “مركزية إيران” في العالم الشيعي، التي تشير إلى تحول إيران إلى مركز الإسلام العالي وتشكيل أمة إسلامية واحدة باستثارة الولاء الديني للشعوب لصهرها وتوحيدها خارج إطار الولاء الوطني، وجمعها تحت قيادة إيران وحكومة الولي الفقيه التي تقدم “الإسلام الصحيح” وتحافظ عليه لتقودها وتدافع عنها، وتحويل مدينة قم إلى مركز إسلامي عالمي بدلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إن المركزية الشيعية برزت مع السنوات الأولى من نجاح الثورة الإيرانية، وبموجبها تم تقسيم العالم إلى قسمين هما: دار الإسلام ودار الكفر، إذ إن الأصل في الشريعة الإسلامية أنها شريعة عالمية، وعليه فإن إيران من يقود دار الإسلام حسب مفاهيم المرشد الأعلى للثورة الإيرانية الخميني، أما دار الكفر فإنها تشمل منطقتين هما: دار الحرب ودار العهد، وكل دار تحكمها مجموعة من القواعد العامة في التعامل مع غير المسلمين، ووفقاً لذلك فإن الأسس التي تقوم عليها الإستراتيجية الإسلامية تتركز على المصلحة الإسلامية العليا والعمل على إبقاء المركزية الشيعية نموذجاً للمجتمعات الإنسانية في السياسة القائمة على مبدأ الأصالة المذهبية في التعامل، ومن هنا تشير المركزية الشيعية بأنها جزء لا يتجزأ من الأممية الشيعية التي وضع أسسها الخميني.

أما الفكرة الأخرى التي تشكل الأساس الرئيس لفكرة الأممية الشيعية هي “الجمهورية الإسلامية”، فالحديث عنها بحاجة إلى الكثير من التفصيل والبيان، ومن هنا نكتفي بذكر إشارة مختصرة عنها، فوفقاً لما جاءت به المادة 57 من الدستور الإيراني عام 1979، التي أشارت إلى أن “السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، التي تمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق وإمام الأمة”، وعبر هذه المادة الدستورية يتضح لنا أن إيران تقدم نظامها السياسي للعالم الإسلامي على أنه نظام أممي، ولا يقتصر على حدود إيران الحالية، وعللت إيران السبب في ذلك إلى أن هدف الجمهورية الإسلامية إقامة الحكومة الإسلامية العالمية بقيادة الولي الفقيه، وعلى جميع مجتمعات العالم الإسلامي أن تقتدي بنظام الجمهورية الإسلامية وتسير خلفه.

الفضاء الشيعي أوجد صلة رئيسة بين فكرتي الأممية الشيعية والجيوبوليتيك الشيعي، وعلى هذا الأساس وجدت إيران في فكرة الأممية الشيعية مجالاً عاماً يمكن عن طريقه ربط جميع الفضاءات الشيعية في العالم الإسلامي

كما سعى الخميني إلى تقديم الجمهورية الإسلامية على أنها تمثل انتصاراً حقيقياً لثورة الإمام

الحسين في كربلاء، وذلك عن طريق إقامة نظام حكم إسلامي يرتبط بالولي الفقيه الذي ينتسب لأهل البيت، وهو بذلك يرسل رسالة مباشرة للمجتمعات الشيعية في إطار العالم الإسلامي، بأن نظام الجمهورية الإسلامية يمثل مرحلة مهمة من مراحل التمهيد للمهدي، ليشكل الحكومة الإسلامية العالمية بقيادته، ومن أهم الأمور التي تدل على أن الجمهورية الإسلامية هي دولة التمهيد للمهدي، هو رعاية الولي الفقيه للدولة الإيرانية، الذي ينبغي أن يكون ولي أمر المسلمين جميعًا، ومن ثم يمكن تعريف الجمهورية الإسلامية بأنها "النظام السياسي الذي جاءت به الثورة في إيران، الذي يكتسب شرعيته السياسية والتاريخية من كونه نظامًا يقوم على ولاية الفقيه الممهدة للإمام المهدي، الذي يعد حسب القائمين عليه النظام السياسي الشرعي الوحيد في العالم الإسلامي، وينبغي على المجتمعات الإسلامية وتحديدًا الشيعية الاقتداء به والارتباط عضوياً بالولي الفقيه القائم بأمر المسلمين".

إستراتيجيات تحقيق الأهمية الشيعية

عملت إيران على تنفيذ غاياتها وأهدافها القومية في تحقيق الجيوبوليتيك الشيعي عبر الأهمية الشيعية، عن طريق إستراتيجيات عديدة ذات مستويات مختلفة، مستوى أعلى يطلق عليه "الخطة الكبرى لإقامة إمبراطوية المهدي العالمية"، ومستوى أدنى يعالج ما نطلق عليه الإستراتيجية المرحلية ذات المدى القريب والمتوسط "الإمبراطورية الشيعية الإقليمية"، إذ تحدد الخطة الكبرى إستراتيجية تنفيذ الأهداف العليا بعيدة المدى، التي تسعى إلى تحقيقها طبقاً لراحل زمنية، حتى يكون القرن الحالي هو قرن إيران الشيعية بامتياز، أو كما أطلق عليه الدستور الإيراني عام 1979، قرن الحكومة الإسلامية العالمية التي يقودها الإمام المهدي، ويهيئ له ذلك ولي أمر المسلمين المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، أما الإستراتيجية المرحلية ذات المدى القريب والمتوسط، التي تعمل عليها حالياً في العالم الإسلامي، فهي ترسم أسلوب التعامل لتأمين دولة القلب المذهبي من التهديدات الخارجية.

إن الفضاء الشيعي أوجد صلة رئيسة بين فكري الأهمية الشيعية والجيوبوليتيك الشيعي، وعلى هذا الأساس وجدت إيران في فكرة الأهمية الشيعية مجالاً عاماً يمكن عن طريقه ربط جميع الفضاءات الشيعية في العالم الإسلامي وما بعده بالمركزية الإيرانية، لتشكل في النهاية مجالاً إستراتيجياً رحباً ممثلاً بالجيوبوليتيك الشيعي، عبر سلسلة من العلاقات السياسية والأمنية والدينية، وهي إستراتيجية اعتمدتها إيران طويلاً لتحقيق أهدافها الإستراتيجية في إطار العالم الإسلامي.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/38227>